

فقه الأسماء الحسنی

الرفیق

لفضيلة الشيخ

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

حفظه الله تعالى

برنامج من إذاعة القرآن الكريم

٢٥-٠٥-١٤٢٩هـ

تفریغ: محمد عماد نوفل

النسخة الإلكترونية الأولى

www.ajurry.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

معاشر المستمعين.. ومن أسماء الله الحسنى: الرفيق، وهو من الأسماء الحسنى الثابتة في السنة.

روى البخاري في صحيحه، عن عروة، عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: استأذن رهط من اليهود على النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالوا: السام عليكم. فقلت: بل عليكم السام واللعنة. فقال: «يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ». قلت: أو لم تسمع ما قالوا؟ قال: «قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ».

وروى مسلم في صحيحه، عن عمرة بنت عبد الرحمن، عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «(يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْغُفِّ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ)».

ففي الحديث التصريح بتسمية الله بالرفيق، ووصفه سبحانه بالرفق، وأن له من هذا الوصف أعلاه وأكملة وما يليق بجلال الرب - سبحانه وتعالى - وكماله.

والرفق - أيها الإخوة المستمعون - اللين، والسهولة، والتأني في الأمور، والتمهل فيها. وضده: العنف، والتشديد، والتصعيب، والعجلة. فهو مأخوذ من الرفق الذي هو التأني في الأمور والتدرج فيها.

والله - سبحانه - رفيق في قدره وقضائه وأفعاله، رفيق في أوامره وأحكامه ودينه وشرعه.

ومن رفقته - سبحانه - في أفعاله: أنه - سبحانه - خلق المخلوقات كلها بالتدرج شيئاً فشيئاً؛ بحسب حكمته ورفقه، مع أنه قادر على خلقها دفعة واحدة وفي لحظة واحدة، وهو دليل على حلم الله وحكمته وعلمه ولطفه.

وقد ورد عن الصحابة - رضي الله عنهم - حمد الله عز وجل على رفقته في الخلق، وتصريفه الدائم للمخلوقات، وأنه لم يجعل الخلق ثابته على هيئة واحدة؛ روى ابن أبي الدنيا بسند جيد، عن الحسن البصري رحمه الله أنه قال: "كانوا يقولون - يعني أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم -: الحمد لله الرفيق، الذي لو جعل هذا الخلق خلقاً دائماً لا يتصرف لقال الشاك في الله: لو كان لهذا الخلق رباً يحادثه، وإن الله عز وجل قد حادث بما ترون من الآيات؛ إنه جاء بضوء طبق ما بين الخافقين، وجعل فيها معاشاً، وسراجاً وهاجاً، ثم إذا شاء ذهب بذلك الخلق، وجاء بظلمة طبقت ما بين الخافقين، وجعل فيها سكناً ونجوماً وقمرًا منيراً، وإذا شاء بنى بناءً - يريد السحاب - جعل فيه من المطر والبرق والرعد والصواعق ما شاء، وإذا شاء صرف ذلك، وإذا شاء جاء ببرد يُقْرِقُفُ الناس، وإذا شاء ذهب بذلك وجاء بحرٌّ يأخذ بأنفاس الناس؛ ليعلم الناس أن لهذا الخلق رباً هو يحادثه بما يرون من الآيات، كذلك إذا شاء ذهب بالدينا وجاء بالآخرة."

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: "وأصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عرفوا ذلك، وبينوه للناس، وعرفوا أن حدوث الحوادث اليومية المشهودة تدل على أن العالم مخلوق،

وأن له ربًّا خلقه ويُحدث فيه الحوادث." ثم أورد أثر الحسن المتقدم، وعلّق عليه تعليقًا مختصرًا.

أيها الإخوة المستمعون، ومن رفق الله بعباده: رَفَقَهُ سُبْحَانَهُ بِهِمْ في أحكامه وأمره ونهيهِ؛ فلا يكلّف عباده ما لا يطيقون، وجعل فِعْلَ الأوامر قَدْرَ الاستطاعة، وأسقط عنهم كثيرًا من الأعمال لِحَرْدِ المشقّة؛ رخصةً لهم، ورفقًا بهم، ورحمةً لهم، ولم يأخذ عباده بالتكاليف دفعة واحدة؛ بل تدرّج بهم من حال إلى حال؛ حتى تألّف النفوس، وتلين الطباع، ويتم الانقياد. ومن رفقهِ جَلٌّ وَعَلَا: إِمَاهَالُهُ رَاكِبَ الخطيئة، ومقتَرَفَ الذنب، وعدمُ معالجته بالعقوبة؛ لِيُثِيبَ إلى ربه، وليتوب من ذنبه، وليعود إلى رُشْدِهِ.

قال الله تَعَالَى: ﴿لَوْ يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبْتُمْ لَعَجَلَ لَهُمُ الْعَذَابُ بَلْ لَهُم مَّوْعِدٌ لَّنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا﴾ [الكهف: ٥٨]، وقال تَعَالَى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ ذَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: ٦١].

فبيّن سُبْحَانَهُ أَنَّهُ لو يؤاخذ الناس بما كسبوا من الذنوب - كالكفر والمعاصي - لعجل لهم العذاب؛ لشناعة ما يرتكبونه، ولكنه حلّيم رفيق لا يعجل بالعقوبة؛ بل يمهّل ولا يهمل.

ومن رفقهِ سُبْحَانَهُ: أَن دِينَهُ كُلُّهُ رِفْقٌ وَيُسْرٌ وَرَحْمَةٌ، وَأَمْرٌ عِبَادَهُ بِالرَّفْقِ، ويعطيهم على الرفق ما لا يعطي على الشدّة، ولا يكون الرفق في شيء من الأمور إلا زانه، ومن حُرْمَةِ حرم الخير.

ولذا؛ ينبغي على كل مسلم أن يكون رفيقًا في أموره كلها، وأحواله جميعها، بعيدًا عن العجلة والتسرع والتهور والاندفاع؛ فَإِنَّ (الْعَجَلَةَ مِنَ الشَّيْطَانِ)، ولا يسوء صاحبها إلا بالخبيّة

والخسران، وكفى بالرّفق نُبْلًا وفضلاً أَنَّهُ حَبِيبٌ لِلرَّحْمَنِ؛ فهو سُبْحَانَهُ رفيق يحب الرفق.

وقد جاءت السنة النبوية بالحث على الرفق في الأمور كلها؛ ففي صحيح مسلم، عن عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -، عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((إِنَّ الرّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ)).

وفي المسند عن عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - عنها، أَن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((إِنَّهُ مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَحَسُنَ الْخُلُقُ وَحَسُنَ الْجَوَارِ يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ)).

وكان نبينا محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أرفق الناس، وشواهدُ رفقهِ في سنته ظاهرة، ودلائلُ حلمه وأناته في سيرته واضحة؛ بل إِنَّهُ ضرب أروع الأمثلة في تحقيق الرفق والأناة في تعامله مع الناس، ودعوته إلى دين الله، ومعالجته لما قد يقع من أخطاء أو مخالفات.

ومن ذلكم ما رواه البخاري ومسلم عن أنس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد؛ فقال أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَهْ مَهْ. قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لَا تَرْزُمُوهُ، دَعُوهُ)). فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - دعاه فقال له: ((إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَالْقَذَرِ؛ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلَاةِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ)).

ورواه أحمد من حديث أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، وفيه أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال لهم: ((دَعُوهُ، وَأَرِيقُوا

عَلَى بَوْلِهِ سَجَلًا مِنْ مَاءٍ -أَوْ: ذُنُوبًا مِنْ مَاءٍ-؛ فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُبَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ)).

فربنا - سُبْحَانَهُ - رفيقٌ يحب الرفق، وديننا رفيق ويسر كله، ونبينا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إمام أهل الرفق وقُدُوتهم، واجبنا أن نتحلى بالرفق في شأننا كله، ومن أعطي الرفق فقد أعطي حظه من الخير، والله وحده الموفق لا شريك له.

وهذا تنتهي هذه الحلقة، وإلى لقاء آخر، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

